



المملكة العربية السعودية

جامعة الملك سعود

الجمعية السعودية للعلوم التربوية والنفسية



اللقاء السنوي الخامس

التأصيل الإسلامي للتربية وعلم النفس

في الفترة من ١٢ - ١٥/١١/١٤١٣ هـ



الرقم التسلسلي ٢٢

إنفعال الخوف في القرآن الكريم

بحث بعنوان :

الدكتور عبدالباسط متولي عاشور خضر

اسم الباحث :

بسم الله الرحمن الرحيم

- إنفعال الخوف في القرآن الكريم
- إعداد
- دكتور عبد الباسط متولي خنجر
- أستاذ الصحة النفسية المشارك
- كلية اللغة العربية والعلوم الاجتماعية بالجنوب

الحمد لله الذي أنعم علينا بنعمة الاسلام .. وجعل لنا القرآن منهجاً لتقويم سلوكنا في الدنيا وكسب الدرجات العلا في الآخرة . إن شاء سبحانه . والقرآن الكريم ملئ بكل ألوان الإنفعالات التي يعجز العقل البشري عن أن يجمعها كلها في بحث واحد، أو نظرية واحدة، فهو الكلام الفصل الذي خاطب به الخالق قلوب المخلوقين وعقولهم " أَلَمْ يَبَيِّنْ لِلدِّينِ أَمْثُلاً أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ " (سورة الحديد : ١٦) .

ولقد ضرب لنا الخالق أروع التشبيهات البيانية لإنفعال الجمادات بفعل تأثير هذا القرآن حيث يقول " لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَمَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثُلُ لِنَاسٍ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ " (سورة الحشر : ٢١) .

ويحاول الباحث في هذا البحث أن يأتي بالعلم من أموله، وأن ينقب في تراثنا الإسلامي الأصيل عن الأصول الثابتة لإنفعال الخوف (١) . ولن أجد أثبت، ولا أشمل من القرآن الكريم، ليكون مرجعي الأساسي في هذا البحث المتواضع، فإن حالفتي التوفيق فالحمد لله وحده، علمنا ما لم نكن نعلم وكان فضل الله علينا عظيماً ، وإن لم يحالفني ما أتمناه فحسبي ما قضيته مع كتاب الله، وعلى الله قصد السبيل .

مشكلة البحث :

- يمكن صياغة مشكلة البحث الحالي في التساؤل الرئيسي التالي: إلى أي حد يعالج كتاب الله " القرآن الكريم " موضوع الخوف وينبثق من هذا التساؤل عدة تساؤلات فرعية وهي :
- (١) هل يتناول القرآن الكريم جميع أنواع الخوف المعروفة لدى علماء النفس المعاصرين ؟
 - (٢) هل يفوق تناول القرآن الكريم لإنفعال الخوف ما يوفره لنا التراث النفسي المعاصر ؟
 - (٣) هل يختلف مستويات الخوف لدى الناس باختلاف درجات إيمانهم ؟
 - (٤) هل يعالج القرآن الكريم علامات الخوف الجسمية ؟

أهمية البحث :

تتمثل أهمية الدراسة الحالية في كونها تبحث عن الهوية الإسلامية لأحد الموضوعات الهامة من العلوم الإنسانية، وهو موضوع إنفعال الخوف ولا أستطيع الإدعاء بأنني أول من كتب في هذا الموضوع، فقد سبقني في ذلك محمد عثمان نجاتي، في تناوله لهذا الموضوع ضمن كتاب القرآن الكريم وعلم النفس وكان لهذا التناول الرائع البذور الأولى التي أنبتت فكرة هذا البحث . (محمد عثمان نجاتي ، ١٩٨٧ ، ٦٦ - ١٠٦) . (٢) .

يتقدم الباحث بخالص شكره إلى الدكتور محمد المنوفي على جهوده في مراجعة البحث .

(٣) يمثل الرقم الأول بين القوسين سنة النشر والرقم الثاني رقم الصفحة .

حدود البحث :

يتحدد البحث الجالي بعدد من الحدود هي :

أولاً : الحدود المنهجية : استخدم الباحث المنهج الوصفي مستنولاً أسلوب التحليل الكيفي لآيات القرآن الكريم وانتفساً الآيات التي تعالج موضوع الخوف، وتصنيفها في ضوء ما يتوفر لدى الباحث من التراث العلمي، بما تتضمن عملية التحليل الكيفي للنصوص من اختيار الآيات القرآنية المناسبة للموضوع وتفسيرها ، دون عزل الآيات عن سياقها هذا واقتضى التحليل الكيفي أن يقرأ الباحث كتاب الله قراءة شاملة، إذ أدرك الباحث أنه من المستحيل الوقوف على إنفعال الخوف في كتاب الله اعتماداً على بعض الآيات . ثم قام الباحث بعرض النتيجة النهائية للتحليل في هذا البحث على أحد الاساتذة المتخصصين في القرآن وعلومه . (سمير محمد حسين ، ١٩٨٣ م ، ٢٥ - ٢٨) .

ثانياً : الحدود البشرية : تعتمد خلاصة هذا البحث على مجهود فردي للباحث والجهد البشري لا يخلو من السلبيات . فالكمال لله وحده . ولا أملك إلا أن أقول في هذا المقام : " رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَيَّ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانْمُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ " (سورة البقرة : ٢٨٦ الآية) .

ثالثاً : الحدود الذاتية : يمثل هذا البحث النتاج الثالث في مجال التأسيس الإسلامي للعلوم الإنسانية، حيث بدأ الباحث انتاجه العلمي بعد درجة الدكتوراة ببحث بعنوان " دراسة أثر تعلم العلوم الدينية (قرآن - فقه - توحيد) على مستوى النمو اللغوي للطفل . ثم ختم نتاجه العلمي السابق بدراسة بعنوان الثواب والعقاب من منظور القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف وعلم النفس المعاصر . (عبدالباسط خضر ، ونسبيل زايد ، ١٩٩٩) .

ولذلك فالباحث مبتدئ . في هذا المجال الصعب ولا يعدوا كونه طالب علم يتلمس العلم من أصوله، ويبحث لذاته عن جذور إسلامية أصيلة وشابطة تستمد قوتها من قوة هذه الأمة التي ارتضاها لها الخالق جل وعلى " كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ " (سورة آل عمران : ١١٠ الآية) .

رابعاً : الحدود المرجعية : كان وما زال المرجع الأساسي في هذا البحث هو كتاب الله العظيم، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، ولذا لن يعتمد الباحث في هذا البحث إلى الاجتهاد في الاعتماد على المصادر الأخرى، إلا بقدر الحاجة، وذلك لطبيعة هذا البحث التي تتميز بالخصوصية العالية لمصدر البحث الأساسي .

مصطلح البحث : إنفعال الخوف Fear Emotion يعرف الباحث الخوف على أنه حالة من الاضطراب الانفعالي يصحبها تغيرات جسمية وفسولوجية، تختلف حسب موضوع الخوف وشدة .

الإطار النظري للبحث

لن يهرج الباحث على أي كتاب غير كتاب الله عز وجل فهو القول الفصل، لكي يستخرج منه الإطار النظري للبحث والذي يجيب بلا لبس ولا افتعال على كل تساؤلات الباحث في مشكلة بحثه .

أولاً : أنواع الخوف :

إنفعال الخوف من الإنفعالات الهامة في حياة الإنسان، وذلك إذا وجد في الإنسان بدرجة مناسبة فإنه يوجه سلوك الإنسان توجيهاً يملح حياته ويقوم

سلوكه، وإذا ارتفعت درجة هذا الانفعال إلى الدرجة العالية فإنه يتحول من إنفعال طبيعي وهيفي، إلى عرض أو حالة مرضية قد تعوق سلوك الإنسان وتؤثر سلباً على حياته وهنا يعرف الخوف المرضي بالخواف . Phobia .
ولقد تعددت ألوان الخوف من منظور القرآن الكريم ونورد منها :

(١) الخوف من الله :

هنا يقصد الباعث الخوف من الذات الإلهية ونذكر من هذه الآيات قول الله

تعالى :

"يَسْتَبْشِرُونَ إِسْرَءِيلَ أَذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أَوْذِي بِعَهْدِكُمْ وَإِنِّي فَأَرْحَبُكُمْ" سورة البقرة : (٤٠) .

وهنا وإن كان الخطاب في هذه الآية موجه إلى بني إسرائيل "اليهود" لخشية الله فهو أيضاً خطاب عام إلى كافة البشر .

"ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ وَإِنْ مِنْ الْحِجَارَةِ لِمَا يُتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنْ مِنْهَا لِمَا يَشَقُّ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنْ مِنْهَا لِمَا يَسْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ" (سورة البقرة : ٧٤)

وهل بعد إنفعال الجمادات وخوفها من الله إلا أن تلين قلوب عباده من البشر الذين وهب لهم نعمة الاحساس .

"وَأَنذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُخْشَرُوا إِنَّا رَبُّهُمْ لَيْسَ لَهُمْ مِنَ دُونِهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ لِّقُلُوبِهِمْ يَتَّقُونَ" (سورة الأنعام : ٥١) .

والإنذار هنا موجه إلى كل من له عقل يعقل قدرة الله عز وجل، وأنه ليس له شفيع ولا نصير من دون الله حيث أن الإذن بالشفاعة من الله فالأمر منه وإليه .

(سيد قطب : ١٩٨١ ، ١٠٩٩) .

"وَلَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الْغَضَبُ أَخَذَ الْأَلْوَابَ وَفِي نَسْخَتِهَا هُدًى وَرُحْمَةٌ لِلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ" (سورة الأعراف : ١٥٤) .

تؤكد الآية بأن رهبة الله وخشيته هي التي تفتح القلوب للهدى وتوقظها من الغفلة وتبهر الفرد للاستجابة والاستقامة . (سيد قطب ، ١٩٨١ ، ١٣٧٦) .

"إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ" (سورة الأنفال : ٢) .

وتورد هذه الآية الكريمة من صفات المؤمنين الارتعاشة الوجدانية التي

تنتاب قلب الفرد وجسمه حين يذكر بالله، في أمر أو نهي، وتستغفر فيه مخافته، ويتمثل عظمة الله ومهابته ، إلى جانب تغميره هو، وذنبه، فينبعث إلى العمل

والطاعة . (سيد قطب : ١٩٨١ : ١٤٧٥) .

"وَإِذْ رَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَغْمَضَتْهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمْ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَّكُمْ فَلَمَّا تَرَآتِ الْفَلَائِجَ كَغَمْرٍ عَلَىٰ عَقَبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِقٌ مِّنْكُمْ إِنِّي أَرَىٰ مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ" (سورة الأنفال : ٤٨) .

يسجل هذا الحوار القرآني الرائع كيف أن الشيطان ساعه الجد يقرر خوفه

من الله رب العالمين، فما بالناس بالإنسان- ما أضعفه- أمام قدرة الله شديد العقاب .

"إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنِ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ" (سورة : التوبة : ١٨ الآية) .

والنص على خشية الله وحده، دون سواه، بعد شرطي الإيمان الباطن والعمل الظاهر، لا يجيء نافلة . فلا بد من التجرد لله ، ولا بد من التخلص من كل ظل

للشرك في الشعور أو السلوك ، وخشية أحد غير الله لون من الشرك الخفي ينسب إليه النص قصدًا في هذا الموضع ليطمح الإعتقاد والعمل كله لله . (سيد قطب :

١٩٨١ ، ١٤ ، ١٦) .

"وَيَسْبَحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ وَيُرْسِلُ الرُّعْدَ فَيَعِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ شَدِيدَ الْمَحَالِ" (سورة الرعد : ١٣) .
 "وَالَّذِينَ يَعْلَمُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوعَى وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ" (الرعد : ٢١) .

وقد أشرك الله عز وجل الملائكة في خيبتهم وتسبيحهم بحمد الله مع الرعد، ليعطى الإعجاز البياني مع الرهبة الشعورية التي يجسدها خوف كل من الملائكة، وهي خلق غير مرئي من خلق الله والرعد، وهو أحد الظواهر التي تبعث الخوف وكثير الطمع في النفوس البشرية .

وفي الآية الثانية فإن خشية الله ومخافة عقابه الذي يسوء في يوم لقائه الرهيب، من صفات أولى الألباب الذين يتدبرون الحساب قبل يوم الحساب .
 "وَلَنُخِصِّنَكُمُ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِهِمْ ذَلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ" (سورة إبراهيم : ١٤) .

والخوف من مقام الجليل، والعمل بالتنزيل، ليس جزاءه الجنة فعصب نفسي الآخرة بل من جزائه أيضا التمكين في الدنيا وأكبر شاهد على ذلك ما وصلت إليه الفتوح الإسلامية في عهد الصفوة الأولى من الأمة الإسلامية .
 "وَلِلَّهِ يَتَّخِذُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ وَالْمَلَائِكَةِ وَهَيْمٌ لَا يَسْتَكْبِرُونَ" . يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ قُبُورِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ . وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَّخِذُوا إِلَهَيْنِ اثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌُ وَاحِدٌ فَإِنَِّّي قَارُهِبُونَ" (النحل ٤٩-٥١) .

في هذا المشهد الرائع لم يستثن الخالق جل وعلا أي صنف من الحشد الكوني من الخوف من العزيز المتعال، ومن السجود له، فكلهم سواء في مقام الخوف والخشوع والخضوع وعبادة الله والسجود، لا يستكبرون عن عبادة الله، ولا يخالفون أمره، والمنكرون والمستكبرون من بني الإنسان وحدهم شواذ في هذا

المقام العجيب . (سيد قطب : ١٩٨١ : ٢١٧٣ ، ٢١٧٤) .
 "طه" ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى ، بل لتشقى به ، أو لتعبد به ، أو لتشقى مع الناس الذين قست قلوبهم فلا يؤمنون به ، فقلت مكفلا أن تحملهم على الإيمان حملا ، وما كان هذا القرآن ، إلا تذكير ونذير لمن يخشى الله ، ويتذكر حين يذكر ، وينتقى به فيستغفر .
 "الَّذِينَ يَبْلِغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ حَسِيبًا" (الأحزاب : ٣٩) .

الذين يبلغون رسالات الله فلا يحسبون للخلق حسابا فيما يكلفهم الله به من أمور الرسالة ، ولا يخشون أحدا إلا الله الذي أرسلهم للتبليغ والعمل والتنفيذ وكفى بالله حسيبا ، فهو وحده الذي يحاسبهم وليس للناس عليهم من حساب . (سيد قطب : ١٩٨١ : ٢٨٧٠) .

"وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ وَإِنْ تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ جَمِلِهَا لَا يَحْمِلُ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ" . إِنَّمَا تُنذِرُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَمَنْ تَزَكَّىٰ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفْسِهِ وَإِلَى اللَّهِ الْمَعِيرُ" (فاطر : ١٨) .

بعد أن أقر المشرع سبحانه - بحقيقة فردية التبعية والجزاء الفردية - الذي لا يغنى فيه أحد عن أحد شيئا ، وحين يشغل نفس بما تحمل ثم تدعو أقرب الأقرباء ليحمل عنها شيئا فلن تجد من يلبي دعاها ، ويرفع عنها شيئا مما يثقلها .
 والذين تتفتح قلوبهم من خشية الله ، فهو لا هم الذين يفلح فيهم الإنذار ، هو لا الذين يخشون ربهم ولم يشاهدوه ، ويقيمون الصلاة ليتصلوا بربهم ويعبدوه ، هو لا الذين ينتفعون بذلك ويستجيئون لذلك عليك يا محمد ممن لا يخشى الله ، ولا يقيم الصلاة ، فمن تطهر فانما يتطهر لنفسه ، لا لك ولا لغيره ، والله هو المحاسب وهو المجازي (سيد قطب : ١٩٨١ : ٢٩٣٨ ، ٢٩٣٩) .

"وَمِنَ النَّاسِ وَالْدَّوَابِّ وَٱلْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ" . (فاطر : ٢٨) .

هذا الكتاب الكوني الجميل الصفحات العجيب التكوين والتلوين حسب ما أوردت الآيات السابقة يفتح القرآن ويقلب صفحاته ويقول بأن العلماء هم الذين يتدبرون هذا الكتاب العجيب ومن ثم هم أكثر الناس معرفة بالله فيعرفونه بأثار صنعه ، يدركونه بأثار قدرته ويستشعرون حقيقة إبداعه ومن ثم يخشونه حقاً ويتقونه حقاً ويعبدونه حقاً . (سيد قطب : ١٩٨١ : ٢٩٤٣) .

ويتواتر نفس المعنى في الآية الكريمة التالية :
" إِنَّمَا تَنْذِرُ مَنِ اتَّبَعَ الذِّكْرَ وَخَشِيَ الرَّحْمَنَ ٱلْعَلِيمَ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ" (يس : ١١) .

"وَأَنذِرْ ٱلنَّجْنَةَ ٱلْمُتَّقِينَ عِزٌّ بَعِيدٌ" . هذا كما توعدون لكل أواب حفيظه من خشية الرحمن بالغييب وجاء بقلب منيب " (ق : ٣١ - ٣٣) .

هذا جزاء كل أواب يخشى الرحمن بالغييب ويأتي إلى الله بقلب منيب له . بل يزيد الجزاء إلى أكثر من ذلك كما يقول عز من قائل في سورة الرحمن .
" وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٌ " (الرحمن : ٤٦) .

ولن يكون نتيجة لهذا الثواب العظيم وهذا النذير المبين إلا الفرار إلى الله كما في سورة الذاريات .

" فَذَرُوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ " (الذاريات : ٥٠) .
فبعد أن خلق الخالق بقولنا في أجواء السماء وفي آساف الأرض وفي أعماق الخلائق يهتف بالبشر ليفروا إلى خالق هذه السماء والأرض والخلائق متجربين من كل ما يشغل أرواحهم ويقيدها، موحدين الله الذي خلق هذا الكون وحده لا شريك له (سيد قطب : ١٩٨١ ، ٢٣٨٦) .

" كَذَّبَ الشَّيْطَانُ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَنِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ ٱلْعَالَمِينَ " (الحجر : ١٦) .

إذا كان ذلك قول الشيطان فماذا يقول الإنسان ما أضعفه .

ويتوارد نفس المعنى الذي جاء في سورة الرحمن في قوله جل وعلى "إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ" . (الملك : ١٢) .
" أَذْهَبَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ " فقل هل لك إلى أن تزكى " وأفهديك إلى ربك فتخشى " (النارعات : ١٧ - ١٩) .

ثم تتوالى المشاهد الرائعة في هذه السورة .
" إِنْ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةٌ لِّمَن يَخْشَى " (النارعات : ٢٦) .

وأيضا في ذات السورة .
" وَأَمَّا مَن خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَىٰ النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ " فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ " (النارعات : ٤٠ ، ٤١) .

وتأتي نبرات العتاب الشديد في سورة عبس لرسول الله الكريم، في شأن ابن أم مكتوم " وَأَمَّا مَن جَاءَكَ يَسْعَىٰ " وهو يخشى " فَأَنزَلْت عَنْهُ نَجْمًا " (عبس : ٨ - ١٠) .

وهنا دروس الأدب القرآني في أساليب المعاملة، وآداب الحوار والاستماع وطلب العلم، وعطائه، ليست موجهة إلى معلم البشرية فحسب بل هي دروس لا تناظرها دروس موجهة إلى أمة محمد صلى الله عليه وسلم .

وفي سورة الأعلى يأتي الأمر الإلهي إلى رسوله ليذكر من يخشى في قوله تعالى "فَذَكِّرْ إِنْ نَفَعَتِ الذِّكْرَىٰ " سَيَذَكِّرُ مَن يَخْشَى " (الأعلى : ٩ ، ١٠) .

وأخيرا وليس بآخر يأتي آخر سورة البينة مؤكدا على هذا المعنى، فإن جزاء الخائف من الله هو الجنة .

"جَزَاءُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرَىٰ مِنْ تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رِضَىٰ ٱللَّهِ عَنْهُمْ وَرَزَقُوا عَنْهُ ذَٰلِكَ لِمَن خَشِيَ رَبَّهُ " (البينة : ٨) .

جنات الإقامة الدائمة في نعيمها الذي يمثله هنا الأمن من العناء والفوات، والطمأنينة من القلق الذي يعكر وينغص كل طبيبات الأرض، كما يمثله جريان الأنهار من تحتها، وهو يلقي ظلال النداء والحياة والجمال ثم يرتقى السياق في تجسيد هذا النعيم " رَفِيَّ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ " أي هذا الرضا من الله هو أعلى وأندى من كل نعيم، هذا الرضا في نفوسهم عن ربهم، الرضا عن قدره فيهم، والرضا عن أنعامه عليهم، والرضا بهذه الملة بينه وبينهم، والرضا الذي يهمر النفس بالهدوء والطمأنينة والفرح الخالص العميق .

كل هذه الطبيبات متوقفة على صلة القرب بالله، والشعور بخشيته، خشية تدفع إلى كل صلاح، وتنهى عن كل انحراف، الشعور الذي يزرع الحواجز، ويرفع الأستار، ويقف القلب عارياً أمام الواحد القهار .

فالذي يخشى ربه خفا لا يملك أن يخطر في قلبه ظلا لغيره من خلقه، فهو أغنى الشركاء عن الشرك، فالخوف من الله لونا من ألوان العبادة لا تحقق إلا للحق .
(٢) الخوف من عذاب الله :

قد يتصور الفرد أن الخوف من الله هو ذاته الخوف من عذاب الله، إلا أن الإنفعاليين مختلفان، فقد يخاف الطفل من والده لذاته، وقد يخاف آخر من عقاب والده له . . وقد يكون خوف الأول من والده أكبر، رغم علمه بأن والده لن يعاقبه . . التشبيه هنا مع الفارق الكبير فخوف الفرد من الذات العلية لقدرتها وعطائها وجلالها شيء، وخوف الفرد من عقاب الله شيء آخر . . نعم قد يتداخل الأمران معا بعض الشيء إلا أن هذا مفهوم وذلك مفهوم آخر .

وتأتي آيات الذكر الحكيم مجسدة هذا المعنى في قوله تعالى: " أَفَأَمِنَ الَّذِينَ مَكَرُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ يَخِفَّ اللَّهُ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ * أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِي تَقْلِبِهِمْ فَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ * أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَى تَخَوُّفٍ فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ " (النحل : ٤٥ - ٤٧) .

في هذا الدرس الشامل يأتي الحق جل وعلا بلعنة وجدانية، وذلك للتخويف من مكر الله الذي لا يأمنه أحد في ساعة من ليل أو نهار، حيث أعجب العجب في البشر أن يد الله تعمل حولهم، وتأخذ بعضهم أخذ عزيز مقتدر، فلا يفطن عنهم مكرهم وتدبيرهم، ولا تدفع عنهم قوتهم وعلمهم وما لهم، وبعد ذلك يظل الذين يمكرون يمكرون، ويظل الناجون آمنين لا يتوقعون أن يؤخذوا كما أخذ من قبلهم ومن حولهم، ولا يخشون أن تمتد إليهم يد الله في موتهم أو في منامهم، في غفلتهم أو في استيقاظهم . والقرآن الكريم يلهم وجدانهم من هذا الجانب ليشير إنفعالاتهم للخطر المتوقع الذي لا يغفل عنه إلا الخاسرون .

أو يأخذهم وهم يتقبلون في البلاد، من بلد إلى بلد للتجارة أو السياحة، "فَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ" لله، ولا يبعد عليه مكانهم في حل أو ترحال " أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَى تَخَوُّفٍ " فإن يقظتهم وتوقعهم لا يرد يد الله عنهم، فهو قادر على أخذهم وهم متأهبون كقدرته على أخذهم وهم لا يشعرون؟ ولكن الله رؤوف رحيم . (سيد قطب، ١٩٨١، ٢١٧٣) .

" أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا " . (الإسراء : ٥٧) .

بعد أن قرر لهم الخالق في الآية التي تسبق هذه الآية أن من يدعوا إليه من الملائكة أو الجن أو الإنس، إن هم إلا خلق من خلق الله، يحاولون أن يجدوا طريقهم إلى الله، ويتسابقون إلى مرقاته ويخافون عذابه، الذي يحذره من يعلم حقيقته ويخشاه .

وقد كان بعضهم يدعو عزيزا ابن الله ويعبد، وبعضهم يدعو عيسى ابن الله ويعبد، وبعضهم عبد الملائكة . وبعضهم يدعو غير هؤلاء . فالله يقول لهم جميعا : ان هؤلاء الذين تدعونهم أقربهم إلى الله ويبتغي إليه الوسيلة، والتقرب إليه بالعبادة، ويرجو رحمته، ويخشى عذابه - وعذاب الله شديد

يحذر ويخاف، فما أجدركم أن تتوجهوا إلى الله ، كما يتوجه إليه من تدعونهم
إليه من دونه وهم عباد له ، يبتغون رضاه .

وتأتي الآيتان التاليتان في ذات السورة تحمل معنى مؤكداً لذات المعنى
السابق إذ يقول جل وعلا :
" وَإِنْ مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا
كَانَ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ مُنْظُورًا ۖ وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا
الْأُولُونَ وَآتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْهَرَةً فَظَلَمُوا بِهَا وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَاتِ إِلَّا تَخْوِيفًا " (الاسراء : ٥٨ ، ٥٩) .

ولما كانت الرسالة الإسلامية هي الرسالة الخاتمة . ولذا كان الإعجاز فيها
قائم ودائم في منهاجها الباقي، وكان هذا المنهاج يخاطب العقل الراشد، ويجلب
الرشد إلى العقل فكان في قصص الأمم السابقة وما حاق بها من ألوان العذاب
لونا من ألوان التخويف الذي يوجه إلى العقول النافجة لكي تزداد نفجاً
وتتمل بالخالق جل وعلا .

ويستمر السياق في مجال التخويف في الآية التالية حتى يقول عز من قائل
" وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا " (الاسراء : ٦٠ الآية) .
فالذين تغلق آذانهم أمام ذكر الله، وتومد قلوبهم وعقولهم أمام آيات الله، لا
تزيدهم هذه الآيات إلا غلا وطمعاً . وأما الذين أنعم الله عليهم وتتشعر
جلودهم من هذه الآيات، وتدمع عيونهم منها، فهم الذين يظلم الله في ظلمه يوم
لا ظل إلا ظله .

" وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا وَفَرَفَنَاهُ فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ
لَهُمْ ذِكْرًا " (طه : ١١٣) .

وكذلك على هذا النسق نوعاً في هذا القرآن من صور الوعيد ومواقفة ومشاهدة
لعله يخشى ، ويجيش في نفوس المكذبين شعور التقوى، أو يذكرهم بما سيلقون في
الآخرة فيسترجعوا ، فذلك إذ يقول الله في أول السورة " مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ
الْقُرْآنَ لِتَشْفَى ۖ إِلَّا تَذَكُّرٌ لِمَنْ يَخْشَى " .
" وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَلْقَوْنَ إِبْرَاهِيمَ أَخَاكِ عَلَى يَمِينٍ يَوْمَ الْآزِفِ " (غافر : ٣٠) .

وفي سورة الطور :
" وَأَقْبَلْ بِغُضْبٍ عَلَى بَعْضِ يَتَسَاءَلُونَ ۖ قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ ۖ
فَمَنْ أَلَّهَ عَلَيْنَا وَقَوْلُنَا عَذَابَ السَّمُومِ ۖ إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ
الرَّحِيمُ " (الطور : ٢٥ - ٢٨) .

السر في هذا النعيم المقيم الذي يجدونه عند ربهم هو أنهم عاشوا في حذر من
لقاءه وعذابه، عاشوا في خشية من لقاء ربهم، فمن الله عليهم وجزاهم بوقايتهم
عذاب السموم، ففي حالة أمنهم وعيشهم مع أهلهم كان خوفهم من ربهم محرك
لسلوكلهم، ولذلك كان أمنهم يوم العرض عليه هو أفضل جزاء، وعذاب السموم هو
ذلك العذاب الذي يتخلل الأبدان كالم الحار اللازع ، فوقاهم ربهم هذا

العذاب منه وفخلاً، إنه هو البر الرحيم . (سيد قطب : ١٩٨١ ، ٩٧ : ٢٣) .
" فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا ۖ فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ
رَبُّهُمْ بِذُنُوبِهِمْ فَحَسَبْنَا ۖ وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا " . (الشمس : ١٣ - ١٥) .

فقد حذر رسول الله آل ثمود أن يعموا الناقة بسوء، وكذلك الماء الذي جعل
لها يوماً ولهم يوماً، كما اشترط عليهم عندما طلبوا منه آية، ولكن الطغسيان
والعناد تمكن منهم، فعقر أشقاهم الناقة مما أدى إلى تحريك القدرة لتبسط
البطشة الكبرى ، وكانت الدمدمه والغضب وما تبعه من تنكيل، واللفظ ذاته
"دمدم" يوحي بما وراءه ويكاد يرسم مشهداً مروعا ومخيفاً ولا يخافه إلا من لا
يقدر عليه ، أما صاحب القدرة فلا يخاف العقاب . (سيد قطب : ١٩٨١ ، ١٩١ : ٣٩١٩) .

(٣) الخوف من يوم القيامة :

لقد أبدع الخالق في تموير هول يوم القيامة في أكثر من موقع في قرآنه الكريم نذكر منها على سبيل المثال : "يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ" * يَوْمَ تَرَوُنَّهَا تُذْهِلُ كُلَّ مَرْجِعٍ عَمَّا أَرَمْتُمْ وَتَفْجَعُ كُلُّ امْرَأَةٍ بِمَا خَفَّتْ بِهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَرَىٰ وَمَا هُمْ بِسُكَرَىٰ وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ كَاسِدٌ * (الحج : ٢٠١) * وسوف نورد في هذا العدد آيات الذكر الحكيم التي تعالج هذا الجانب من الخوف ومنها :

"وَإِذَا ثَلَاثَةٌ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا أَأَنْتَ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَذَا أَتَوْدَّ لَهُ قُلُوبُ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَبْدِلَهُ مِنْ تِلْكَ آيَاتِي إِنْ أَشِيعَ إِلَّا مَا يُوْحَىٰ إِلَيَّ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ" * (يونس : ١٥) * "وَأَنْ أَسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُغْفِرْ لَكُمْ مَسْئَلَكُمْ خُصًا إِلَيَّ أَجَلٌ مَّسْمُومٌ وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ" * (هود : ٣) * "وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ * أَنْ لَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ" * (هود : ٢٥ ، ٢٦) * "إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَةٌ لِّمَنْ خَافَ عَذَابَ الْآخِرَةِ ذَلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ" * (هود : ١٠٣) * "وَلَا تَحْصِنَ اللَّهُ فَمَا لَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ" * (ابراهيم : ٤٢) *

"وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقْبُولُونَ يُنَادِيهِمْ هَذَا الْكِتَابُ لَا يُغَادِرُ صِفرةً وَلَا كِبيرةً إِلَّا أَهْمَهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَافِرًا وَلَا يَهْدِلُمْ رَبُّكَ أَخَذًا" * (الكهف : ٤٩) *

"يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ وَأَخْشَوْا يَوْمًا لَا تَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَارٌ مِنْ وَالِدِهِ شَيْئًا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورُ" * (لقمان : ٢٣) *

"وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ حَتَّىٰ إِذَا فُزِعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقُّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ" * (سبا : ٢٣) * "وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ فُزِعُوا فَلَا فَوْتَ وَأُخِذُوا مِنْ مَّكَانٍ قَرِيبٍ * وَقَالُوا ءَأَمْسَنَا بِهِ وَأَنَّا لِنُكَلِّمُ التَّنَادُ مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ * وَقَدْ كَفَرُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ وَيَعْذِرُونَ بِالْعَبَثِ مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ * وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِمْ مِنْ قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا فِي شَكٍّ مُرِيبٍ" * (سبا : ٥١ - ٥٤) *

"وَيَلْقَاكُمْ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ * يَوْمَ تَوَلَّوْا مُدْبِرِينَ مَا لَكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ وَمَنْ يُظْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ" * (غافر : ٢٢ ، ٢٣) * "كَلَّا بَلْ لَا يَخَافُونَ الْآخِرَةَ" * (المدثر : ٥٣) *

"يَسْأَلُ أَيَّانَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ * فَإِذَا بَرَقَ الْبَرْقُ * وَخَسَفَ الْقَمَرُ * وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ * يَقُولُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ أَيَّنَ الْقَمَرُ" * (القيامة : ٦ - ١٠) * "يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَبَانَ ثَرَهُ مُنْطَبِرًا * وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حَسْبِهِمْ مُنْكِبًا وَنَتِيقًا وَآيِيرًا * إِنَّمَا نَطَعُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكْرًا * إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَطَطِيرًا" * (الإنسان : ٧ - ١٠) *

وأخيرا وليس بآخر يوجه الخالق جل وعلا سؤاله إلى حبيبه ومطفياء محمد بن عبدالله قائلا :

"يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسِيهَا * فِيمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْرِهَا * إِنِّي رَأَيْتُ مُنْشَرِهَا * إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرٌ مَنْ يُخَشِهَا * كَانَتْهُمْ يَوْمَ تَرَوُنَّهَا لَمْ يَلْتَبَوْا إِلَّا غِشًا أَوْ فُجْرًا" * (النارعات : ٤٢ - ٤٦) *

وتجد هذه الآيات حول يوم الحساب يوم العقاب يوم الماخة، يوم القارعة، يوم القيامة، "وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَنَّهُ سَنَةٌ مِمَّا تَعُدُّونَ" (الحج : ٤٧). هذا من ناحية الشغل والطول، فما بالنا من ناحية الآثار الجسمية والفسولوجية والإنفعالية على الأفراد .
" فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِنْ كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا " (الزمل : ١٧) .
وهل هناك أبلغ وأبعد من تموير الخالق لأكبر ألوان الإنفعال بالخوف من ذاته وعذابه ويوم حسابه جل وعلا .

(٤) الخوف من الموت :

يختلف الناس فيما بينهم في مشاعرهم تجاه الموت ، فمنهم من يخافه وترتعد منه أطرافه ربما لمجرد ذكر كلمة الموت أمامه ، ومنهم من يتحول هذا الخوف لديه إلى مستويات دائمة أو مؤقتة من القلق أو الخوف، ومنهم من يملأ الايمان جميع جوارحه لدرجة أنه لا يخشى الموت ، هؤلاء ممن عمسروا بالايمان آخرتهم، فأكثرُوا من الطاعات واستعذبوا تعب الدنيا، خوفاً من الله وطمعاً في كرمه ورضوانه ، حيث يصفهم العلي القدير بقوله :
" إِنَّمَا يَوْمٌ مِنْ بَحَائِبِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ " تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنْ الْمَصَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ " فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مِمَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ " (السجدة : ١٥ - ١٧) .

وهناك فريق آخر يحاولون الفكاك من الموت والفرار منه بشتى الطرق المعسنة الظاهرة، أو الخفية اللاشعورية ، ولكن أجل الله قريب . (عبد الباسط خضر، ١٩٩١) .

ويخاطبهم المحي المميت بقوله " قُلْ إِنْ أَلَمْتُ أَلَدَى تَفِرُونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مَلَقِكُمْ ثُمَّ تَرَدُّونَ إِلَىٰ عِلْمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ " (الجمعة : ٨) .
وفيما يلي نورد بعض آيات الذكر الحكيم التي عالجت موضوع الخوف من الموت :
" أَوْ كَمِيتٍ مِنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَنُقُرُّ يُجْعَلُونَ أَصْهَابَهُمْ فِيءًا لِأَنَّهُمْ مِمَّنْ أَلَمُوا عَلَىٰ حَذَرٍ الْمَوْتِ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ " (البقرة : ١٩) .
" قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ الْآخِرَةَ عِنْدَ اللَّهِ حَالَتِ مَنْ ذُوْنَ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ " وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ " وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَخْرَضَ النَّاسِ عَلَىٰ حَيَاةٍ وَمِنْ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرَ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُعَزِّجٍ مِنَ الْعَذَابِ إِنْ يُعَمَّرْ وَاللَّهُ بِمِيزَانٍ يُعْمَلُونَ " البقرة : ٩٤-٩٦) .

لقد كان اليهود يطلقون دعوى عريضة ، أنهم شعب الله المختار ، وأنهم وحدهم المهتدون ، وأنهم وحدهم الفائزون في الآخرة، وأن ليس لغيرهم من الأمم في الآخرة عند الله نصيب ، وهذه الدعوى تتضمن أن المؤمنين بمحمد - صلى الله عليه وسلم - لا نصيب لهم في الآخرة . والهدف الأول هو زعزعة ثقتهم بدينهم، وبعود رسولهم، وعود القرآن لهم، فأمر الله نبيه - صلى الله عليه وسلم - أن يدعو اليهود إلى مباهلة ، أي بأن يقف الفريقان ويدعو الله بهلاك الكاذب منهما . ثم يعقب الخالق على هذا التحدي، بتقرير أنهم لن يقبلوا المباهلة ، ولن يطلبوا الموت ، لأنهم يعلمون أنهم كاذبون، ويخشون أن يتجيب الله فيأخذهم . فلن يتمنوه لأن ما قدمته أيديهم للآخرة لا يطعمهم في ثواب ، ولا يؤمنهم من عقاب، وليس هذا فحسب ، ولكنها خيلة أخرى في اليهود ، خصلة يصورها القرآن مودة تفيخ بالزراية، وتنتفح بالتحقير والمهانة " لَتَجِدَنَّهُمْ أَخْرَضَ النَّاسِ عَلَىٰ حَيَاةٍ " أية حياة ، لا يهم أن تكون حياة كريمة، أو غير كريمة مزرقة . حياة فقط . بهذا التنكير والتحقير . حياة ديدان أو حشرات . حياة والسلام . (سيد قطب : ١٩٨١ ، ٩٢) .

"يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّخَضَّرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَيَعَدُّكُمْ اللَّهُ تَحْفَظُهُ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ" (آل عمران : ٣٠)

يععب على أى باحث مبتدئ في مجال التأصيل الإسلامي أن يصنف هذه الآية الكريمة في أى موضع من مواضع الخوف من الله ، أو الخوف من يوم القيامة أو الخوف من عذاب الله أو الخوف من الموت .. ولكن تمنى الإنسان وقت ذاك بأن يكون بينه وبين هذا اليوم أمدا بعيدا، ينعكس على نفوس الناس في الحياة الدنيا وهذا هو الإعجاز البلاغي في القرآن الكريم .

"سَلِّطْ فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرَّعِبَ يَمَّا أَكْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَنًا وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ وَبِئْسَ مَثْوًى لِلظَّالِمِينَ" (آل عمران : ١٥١) .
"قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَنَّ تَذَهُبُوا بِهِ وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَأَنْتُمْ عَنْهُ غٰفِلُونَ" (يوسف : ١٣) .

وتوضح دعوات نبي الله زكريا - عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام - لربه حينما تقدمت به السن . ولم تنجب زوجته، ولونا آخر من ألوان الخوف على الدين والرسالة من الضياع فهو يدعو وهو البر الرحيم أن يهبه وريثا صالحا يكون امتدادا للحفاظ على الرسالة في قوم هم أقرب ما يكون إلى تضييع الرسالات .
"قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا وَإِنِّي خِفْتُ الْقَوَالَ مِن وَرَأْيِكَ وَكَانَتِ امْرَأَتِي غَافِرًا فَقَسْبٌ لِّي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيَّا يَرْثِي وَيَرِثُ مِنِّي آلُ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا" (مريم : ٤ - ٦) .

ويأتي التصوير القرآني لحالة أم موسى الإنفعالية وتوجيه الخالق لها قائلا :
"وَأَوْخِيْنَا إِلَيْكَ أُمُّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْفَعِيهِ فَإِذَا خَفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِ وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَآكُوهُ وَإِلَيْكَ وَجَعَلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ" (القصة : ٧) .

مع قمة موسى إبان كونه وليداً وفرعون حينما كان جبارا .. فموسى مع ضعفه وقلة حيلته كانت تصاحبه العناية الإلهية فلقد ولد موسى في ظل تلك الأوضاع القاسية ، التي رسمت قبل البدء في قمة موسى ولد والخطر محدقه به ، والموت يتلحفه عليه ، والشفرة تكاد تمل إلى عنقه، وها هي ذى أمه حائرة به ، خائفة عليه من الموت ، تخشى أن يهل نبوءه إلى الجلادين ، وترجف أن تتناول عنقه السكين ، وها هي ذى بطفلها الوليد في قلب المخافة ، عاجزة عن حمايته ، عاجزة عن إخفائه ، عاجزة عن حجز صوته الفطري أن ينم عليه، وهنأقتدخل العناية الإلهية بقدرتها، لتمل إلى قلب أم موسى .. أن أرفعيه فإذا خفت عليه وهذا قائم فألقيه في اليم في رعاية اليد التي لا أمن إلا في جوارها ، اليد التي لا خوف معها . اليد التي لا تقرب المخاوف من حماها ، اليد التي تجعل النار بردا وسلاما ، وتجعل البحر ملجأ ومناما ، اليد التي لا يجروا فرعون الطاغية الجبار ولا جبابرة الأرض جميعا أن يدنوا من حماها الأمن العزيز الجانب .. وهنا قوة الايمان تتغلب على مشاعر الخوف العارم فتستجيب الأم إلى نوااميس رب الحياة، وتنحى نوااميس الحياة جانبها . فقد أعطاه الله البشارة برده إليها ردا جميلا وجاعله للطاغية رسولا . (سيد قطب ، ١٩٨١ ، ٢٦٧٨ ، ٢٦٧٩) .

وتتواتر الآيات التي تجسد أحاسيس أم موسى حيث يقول الخالق :
"وَأَصْبَحَ قَوْا إِذْ أُمُّ مُوسَىٰ قَرْعًا إِنْ كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَا أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهَا لَتَكُونَ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ" (القصة : ١٠) .

وخوف موسى على نفسه من القتل والموت قصاصا لما فعل :
فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ" (القصة : ٢١) .

" قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ " (القمر : ٢٣) .
ثم يأتي القرآن ثانية على أهل النفاق عقولهم، ثم يبعث الخوف في مشاعرهم
قائلاً :
" وَلَقَدْ كَانُوا عَاهِدُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ لَا يُؤَلِّقُ الْأَذْبَرَ وَكَانَ اللَّهُ مَسْئُولًا " .
قل لن ينفعكم ألفراؤ إن كرزتم من الموت أو القتل وإذا لا تمتعون إلا قليلاً
(الأحزاب : ١٥ ، ١٦) .

ثم يهور المحي المميت موقف الموت والعرض والحساب قائلاً :
" وَجَاءَتْ نَجْرَةُ الْأَمْوَاتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ " . وَنُفِخَ فِي الْمَسْوَرِ ذَلِكَ يَوْمَ
الْوَعْدِ " . وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَ مَا سَارَتْ وَشَهِيدٌ " . لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا فَكَشَفْنَا
عَنْكَ غُطَاةَكَ فَبَيَّنَّاكَ الْيَوْمَ حَقِّدُ " (ق : ١٩ - ٢٢) .
وهنا يعالج الله عز وجل القلوب الغافلة، بتعريضها إلى مشهد الموت وسكراته
ومشهد الحساب وعرض السجلات، ثم مشهد جهنم بعد ذلك فافرة فاهها تتلمسط كلمها
ألقي فيها وقودها البشري تقول هل من مزيد .

إنها لرحلة واحدة متصلة حقاً تبدأ بالميلاد ، وتتمر بالموت وتنتهي
بالبعث والحساب، ترسم للقلب والعقل البشري طريقه الوحيد الذي لا فكاك عنه
ولا محيد، وهو من أول الطريق إلى آخره في قبضة الله لا يتملص، تحت رقابته فهل
من صوة لنفر منه وإليه .

٥) الخوف من الفقر :
الفقر من الأشياء التي يخافها الفرد، ويخشاه، ويسعى جاهداً إلى تجنبها
بشتى الوسائل والامكانات، وهو غير محبب إلى كل النفوس .
ولذلك كان علاج الغنى الحميد لهذا الموضوع في قرآنه على نفس المستوى
الذي يناسب كراهية وخوف الفرد المؤمن لهذه الظاهرة .
" قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْسَلٌ
اقتَرَفْتُمُوهَا وَتَجَاوَزْتُمْ كَسَادَهَا وَمَسْكَنٌ تَرْمُونَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ
وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّعُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ
الْكَافِرِينَ " (التوبة : ٢٤) .
" يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ
بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيَكُمْ اللَّهُ مِنْ قَلْبِهِ إِنْ شَاءَ " . (التوبة : ٢٨) .
عليه حكيم " .

وهنا يجسم التعبير نجاسة المشركين، نجاسة أرواحهم، فيجعلها ماهيتهم
وكيانهم، فهم بكليتهم وبحقيقتهم نجس ، يتقذره الحس ، ويتطهر منه المتطهرون
وهو النجس المعنوي، لا الحس في الحقيقة ، فأجسامهم ليست نجس بذاتها وإنما
هي طريقة التعبير القرآني بالتجسيم المعجز، ولكن الموسم الإقتمادي الذي
ينتظره أهل مكة ، والتجارة التي يعيش عليها معظم الظاهريين في الجزيرة ،
ورحلة الشتاء والصيف التي تكاد تقوم عليها الحياة .. إنها كلها ستتعرض
للفضياع بمنع المشركين من الحج ، وبإعلان الجهاد العام على المشركين كافة .
نعم ولكنها العقيدة، والله يريد أن تخلص القلوب كلها للعقيدة، وبعد
ذلك فالله هو المتكفل بأمر الرزق من وراء الأسباب المعهودة والمألوفة، وهو
رب الأسباب " وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيَكُمْ اللَّهُ مِنْ قَلْبِهِ إِنْ شَاءَ " .
وحين يشاء صاحب القدرة يستبدل أسباب بأسباب، وحين يشاء يغلق باباً
ويفتح أبواباً .

" وَلَا تَجْعَلْ لَدَيْكَ مَخْلُوعًا إِلَى عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْ كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَكْسُورًا " .
إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ كَسَانٌ بِحَسْبَابِهِ حَسْبِيرًا بِحَسْبَابٍ " . وَلَا
تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةً إِمَّا لَكُمْ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ " . (الأنعام : ١٥١) .
" وَإِنْ كُنْتُمْ فِي شَكٍّ مِنْهُمْ فَمَقُوتٌ " . (الأنعام : ١٥٢) .
(الإسراء : ٢٩ - ٣١) .

وهنا يروق البارئ لنا المنهج الإسلامي الحنيف، الوسيطه في الانفساق، لا تبذير ولا تقتير .. فالتوازن هو القاعدة الكبرى في المنهج الإسلامي ، والغلو كالتفريط يخل بالتوازن ، والتعبير هنا يجرى على طريق التصوير ، فيرسم البخل يدا مغلولة إلى العنق . ويرسم الإسراف يدا مبسوطة كل البسط لا تمسك شيئا ، ويرسم نهاية البخل ونهاية الإسراف قعدة كقعدة المعلوم المحسور ، والحسير في اللغة العربية الدابة تعجز في السير فتقف ضعفا وعجزا، وكذلك المسرف ينتهي به الإسراف إلى وقفه الحسير وكذلك البخل يحسره بخله فيقف في الحالتين ملوما محسورا، وخير الأمور الوسط .

ثم يعقب على الأمر بالتوسط بأن الرزاق هو الله، هو الذي يبسط في الرزق ويوسع، وهو الذي يقدر في الرزق ويضيّق، ومعطى الرزق هو الأمر بالتوسط في الانفاق . وكان بعض أهل الجاهلية بل وأهل هذا الزمان في بعض البلدان يقتلون البنات خشية الفقر والإملاق، ونهى الوهاب قتل الأولاد خوفا من الفقر وهنا نقف وقفة مع التعبير القرآني المعجز ففي هذا الموضع قسدم الرزاق رزق الأبناء على رزق الآباء ، بينما يقول رب العزة والجلال في سورة الأنعام : " وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ " (الأنعام : ١٥١ الآية) . وهنا قدم الله رزق الآباء على رزق الأبناء وذلك بسبب اختلاف آخر في مدلول النعم، ففي النص الأول يكون القتل خشية وقوع الفقر بسببهم، فقسدم رزق الأولاد وفي سورة الأنعام قتلهم بسبب فقر الآباء فعلا، فقدم رزق الآباء هَكَانَ التقديم والتأخير وفق مقتضى الدلالات التعبيرية .

وعلى أولئك الذين يقترحون على الرسول - صلى الله عليه وسلم - تلك المقترحات المتعنتة من بيوت من زخرف وجنات من إنبخل والأعقاب يقول الحق لهم : " قُلْ لَوْ أَنْتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذَا لَا مَكْرَتُمْ كَخَشْيَةِ الْإِنْفَاقِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ قَتُورًا " (الإسراء : ١٠٠) .
إنه لو وكلت لهم رحمة الله لكانوا بخلا أشعاء ولأمسكوا وبخلوا خوفا من نفاذها ورحمة الله لا تنفذ ولا تغيض .

٦) الخوف من الناس :

الخوف من الناس من الإنفعالات الطبيعية لدى البشر منذ الولادة ، ولكن ارتقاء هذا الخوف إلى درجة تنمو في الفرد عن خوفه من خالق الناس هو الأمر غير الطبيعي وهو الذي يخرج الإنسان من دائرة العبودية لله إلى دائرة العبودية لغير الله .. ولقد عالج القرآن الكريم هذا الجانب من الخوف في أكثر من موضع فيقول عز من قائل :
" أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً " (النساء : ٧٧ الآية) .
" وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوْ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَكْبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلَا قَوْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا " (النساء : ٨٣) .
" وَإِنْ أَمْرًا خَافَتْ مِنْ بَغْيِهِمَا شُورًا أَوْ إِعْرَاضًا كَلَّا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُعْلِمَا بَيْنَهُمَا مَلْعًا وَأَلَطَحَ خَيْرٌ " (النساء : ١٢٨ الآية) .
" الْيَوْمَ يَجْعَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِ " (المائدة : ٣٠ الآية) .
" فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسْرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَى أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ فَيُغْلِبُوا عَلَى مَا أَسْرَوْا فِي أَنْفُسِهِمْ نَذِيرٌ " (المائدة : ٥٢) .

• وَأَذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَقْعَمُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَنْ يَتَخَفَتَكُمْ النَّاسُ فَكَاوَلَكُمْ وَاتَّخَذَكُمْ بَنِيهِمْ وَقَدَّرَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ " (الأنفال : ٢٦) .
 "وَأَمَّا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَانْصَبْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِبِينَ" (الأنفال : ٥٨) .
 " كَمَا ءَامَنَ لِمُوسَىٰ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِنْ قَوْمِهِ عَلَىٰ خَوْفٍ مِنْ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ أَنْ يَفْتِنَهُمْ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الْمُفْرِيقِينَ " (يونس : ٨٣) .
 " فَفَرَزْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خِفَّكُمْ قَوْمِي لِي رَبِّي حَكَمًا وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ " (الشعرا : ٢١) .

حتى الحشرات لم تسلم من الخوف من الإنسان كما قال عز وجل في سورة النمل:
 " حَتَّىٰ إِذَا أَتَوْا عَلَىٰ وَادٍ النَّمْلِ قَالَتْ ثَغْلَةٌ يَأْتِيهَا النَّملُ ادْخُلُوا مِنِّيكُمْ لَا يُخْفَتُكُمْ سَلْمُنٌ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ " (النمل : ١٨) .
 " فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ " (القصص : ١٨ الآية) .
 " فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ " (القصص : ٢١ الآية) .
 " قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ " (القصص : ٢٥ الآية) .
 " إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُون " (القصص : ٢٤ الآية) .
 " هَرَبَ لَكُمْ مِمَّا مَنِاعُوا لَكُمْ عَنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ شُرَكَاءَ فِي مَا رَزَقْتَكُمْ فَأَنْتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ " (الروم : ٢٨) .
 " أَشْعَثُ عَلَيْكُمْ فَأَذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُمْ بِالنِّسَةِ جِدَادٍ أَشْعَثَ عَلَىٰ الْخَيْرِ " (الأحزاب : ١٩ الآية) .

وهنا في هذه الآية الكريمة، يبدأ التعبير الإلهي في تصوير كسرة المناقبين على المسلمين ، كسرة بالجهد وكسرة بالمال ، وكسرة بالعواطف والانفعالات والمشاعر ثم يعورهم مع الخوف صورة شائعة ، واضحة المعاليم ، متحركة الجوارح ، وهو في الوقت ذاته مضحكة ، تشير السخرية من هذا الصنف الجبان ، الذي تنطق أوصاله وجوارحه في لحظة الخوف والجبن المرتعش الخوار ، وأشد سخرية صورتهم بعد أن يذهب الخوف ويجئ الأمن . فخرجوا من الجحور وارتفعت أمواتهم بعد الارتعاش .

وهنا تتجلى أوضاع معالم المظاهر الجمية المصاحبة لإنفعال الخوف من الارتعاد والاضطراب ودوران العين ذات اليمين وذات الشمال .
 " إِذْ دَخَلُوا عَلَىٰ دَاوُدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُوا لَا تَخَفْ خَصِمَانِ يَهْمَانِ بَعْثُنَا عَلَىٰ بَغِيضٍ فَنَحْكُمَ بَيْنَهُمَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشْطِطُوا وَاهِدِنَا إِلَىٰ سَوَاءٍ الْقُرْطِ " (ص : ٢٢) .
 " وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ " (غافر : ٢٦) .
 " لِأَنْتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِمْ مِنْ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ " لا يُفْقَهُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرَىٰ مُعَقَّاتٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسِبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ " (الجن : ١٣ ، ١٤) .

٧) أنواع أخرى من الخوف :

لقد تعددت أنواع الخوف في القرآن الكريم لدرجة يصعب على أي باحث أن يلخصها جميعا في تصنيف واحد وسوف نحاول جاهدين أن نورد أهم أنواع الخوف الأخرى فيما يلي :-

أ) الخوف من الطواهر الجوية والطبيعية :

هناك مخاوف كثيرة تحتاج الإنسان كالخوف من البرق والخوف من الرعد والخوف من الظلم والخوف من الأماكن المرتفعة .

ولقد عالجت آيات الذكر الحكيم بعض هذه الجوانب نذكر منها :
 " أَوْ كَصَيْبٍ مِنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَنُقُرُفٌ يُجْعَلُونَ أَصْوَعًا فِيهَا إِذَا نَسَمَ مِنَ
 السَّمَاءِ بِقُحُورٍ أَلْمُوتِ وَاللَّهُ مُجِيبُ الدُّعَاءِ يَخَطُّ أَبْصَارَهُمْ كَلَمَاتٍ
 أَهْلًا لَهُمْ مَشَا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ
 وَأَبْصَارِهِمْ إِنْ أَلَّ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (البقرة : ١٩ ، ٢٠) .
 " هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ أَلْبَرَقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنشِئُ السَّحَابَ الثِّقَالَ " (الرعد : ١٢) .
 " يَكَادُ مَنَّا بَرَقَهُ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ " (النور : ٤٣ الآية) .
 " وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمْ أَلْبَرَقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيَخْشِي بِهِ الْأَرْضَ
 بَعْدَ مَوْتِهَا إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ " (الروم : ٢٤) .

(ب) الخوف من الرذائل :

كثير من عباد الله المؤمنين يخافون من الشيطان ويخافون من الرذائل
 ولقد عالج القرآن هذا الجانب في أكثر من موضع حيث يقول عز من قائل :
 " إِنَّمَا لَا يَكُنْ الشَّيْطَانُ يَخُوفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ " (آل عمران : ١٧٥) .
 " وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَمِينِ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَنَ شَاءَ وَشَلَّتْ
 وَرَبِّعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَ جِدَةٌ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ أَذْنًا أَلَّا تَعُولُوا " (النساء : ٣) .
 " وَلِيَخْشِيَ الَّذِينَ لَوْ تَزَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً رَعَفَا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ
 وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا " (النساء : ٩) .
 " وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلًا أَنْ يَنْكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ فَمَنْ مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ
 مِنْ بَنَاتِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِكُمْ بَعْفَكُمْ مِنْ بَعْضِ مَا تَنْكِحُوهُنَّ بِأَدْنِ
 أَهْلِيكُمْ وَأَتَوْهُنَّ أَجُورَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَحَصَلَتْ فَعَزَّ مَسْفَحَاتٍ وَلَا تَتَّخِذُوا أَكْثَادًا قِيَادًا
 أَحْمَنَ فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَحْشَةٍ فَقَلْبَيْنِ بَعْدَ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ ذَلِكَ لِقَوْمٍ خَشِيَ
 الْعَقَبَ مِنْكُمْ وَأَنْ تَحْبِرُوا خَيْرَ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ " (النساء : ٢٥) .
 " وَالَّذِي تَخَافُونَ سُوءَهُنَّ فَعُطُوهُنَّ وَأَعْبِرُوهُنَّ فِي الْمَضَاجِعِ وَأَعْرِبُوهُنَّ فَإِنْ أَطَعْتُمُ
 فَلَا تَنْبَغُوا عَلَيْهِنَّ سَبِيلًا إِنْ أَلَّ اللَّهُ كَانَ عَلَيْهَا كَبِيرًا " (النساء : ٣٤ الآية) .
 " يَأْتِيَتْ إِيَّيَ أَخَافُ أَنْ يَمْسَكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا " (مريم : ٤٥) .

(ج) الخوف من الخوارق والمعجزات وأعمال السحرة :

ينتاب الناس خوفا شديدا من العوارض الفجائية، فما بالنا إذا تعرض لهذا
 الإنسان وخاصة الأنبياء إلى المعجزات والأمور الخارقة للعادة، فهذا بلا شك سوف
 يؤدي إلى الخوف والسهل وإرتعاد الفرائص .
 ولقد حكى لنا القرآن الكريم مثل هذه الأمور في أكثر من موضع نذكر منها :
 " قَالَ أَلْقُوا فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرِ عَظِيمٍ " (الأعراف : ١١٦) .
 " وَمَا تِلْكَ يَتِيمَتِكَ يَمُوسَى ۖ قَالَ هِيَ عَصَى أَتَوَكَّوْا عَلَيْهَا وَاهْتَرَبُهَا عَلَى غَمِي
 وَلِيٍّ فِيهَا مَارَبٍّ آخَرٍ ۖ قَالَ أَلْقِهَا يَمُوسَى ۖ فَالْقَلْبُهَا قِيَادًا هِيَ مَسِيَّةٌ تَنْعَى ۖ
 قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَتُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَى " (طه : ١٧ - ٢١) .
 " قَالَ بَلْ أَلْقُوا فَإِذَا جِبَالُهُمْ وَعِصْبُهُمْ يُخِيلُ إِلَيْهِمْ مِنْ سَحَابٍ أَتَتْهَا تَنْعَى ۖ فَأَوْجَسَ
 فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى ۖ قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ الْأَعْلَى " (طه : ٦٦ - ٦٨) .
 " إِنَّا ءَمَرْنَا بِرَبِّكَ أَنْ يَغْفِرَ لَنَا خَطِيئَتَنَا وَمَا أَجْرُهُنَا عَلَيْهِمْ مِنَ السَّحْرِ وَاللَّهُ خَيْرٌ
 وَأَجْفَى " (طه : ٧٣) .
 " وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَمُوسَى
 أَقْبَلَ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الْآمِنِينَ " (القمر : ٢١) .
 إلا أنه يجب أن ننوه هنا أنه رغم أن الخوف من السحر قد طرق في آيات عدة من
 القرآن الكريم إلا أنه يحرم شرعا الذهاب إلى السحرة أو تمديقهم .

(د) الخوف من القوة الحربية :

لم يترك القرآن الكريم أمراً فيه مطلة للمسلم إلا وعالجه سواء كان ذلك في حياة السلم أو الحرب، ومن الآيات التي عالجت الخوف من القوة الحربية ما يلي :

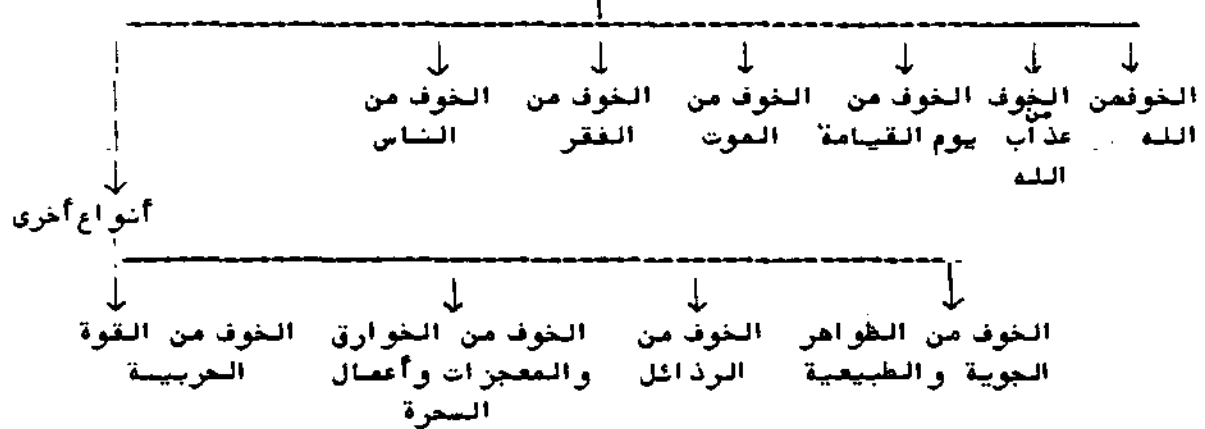
" إِذْ يُوْحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَأَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبَّتُوا الَّذِينَ ءَامَنُوا سَالِقِينَ فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَأَصْرَبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَأَصْرَبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ " (الأنفال : ١٢) .

" وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ " (الأنفال : ٦٠) .
 " يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا " . إِذْ جَاءَكُمْ مِنْ بَيْنِ يَدَيْكُمْ أَسْفَلٌ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونًا " هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا " (الأحزاب : ١١-٩) .
 " وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَهَرَوْهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ صَافِيهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا " (الأحزاب : ٢٦) .
 " سَنَنْزِلُ السَّمَاءَ الْخُمْرَ وَيَبْعَثُ اللَّهُ الْغَمَامَ " (القمر : ٤٥) .

" لَيْسَ أَخْرَجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَيْسَ قُوتِلُوا لَا يَنْصُرُونَهُمْ وَلَيْسَ نَصْرُهُمْ لِيُؤْتِسِرَ الْأَذْبَلُ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ " (الحشر : ١٢) .

وهكذا نرى أن الخوف في القرآن الكريم يشمل على أنواع عدة قد صنفها

الباحث إلى :



"وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْلَ خَيْلٍ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَادُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا" (طه : ١١٢).

" إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَلُّوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا يَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ " (فصلت : ٣٠) .
 " يَعْبُدُونَ إِلَّا خَوْفٌ عَلَىٰ كُفْرِهِمْ الْيَوْمَ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ " الَّذِينَ آمَنُوا بِكَائِنًا وَكَانُوا مُسْلِمِينَ " (الزخرف : ٦٨ ، ٦٩) .
 " إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَلُّوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ " (الأحقاف : ١٣) .
 " لَقَدْ مَدَقَّ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّسُلَ بِالْحَقِّ لِنَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ءَامِنِينَ مَخْلِقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمَقْصِرِينَ لَا تَخَافُونَ قَعْلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَعَجَلْ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتَحًا قَرِيبًا " (الفتح : ٢٧) .

مما تقدم يتضح أن الخوف ينتفي عن عباد الله المخلصين وهم :

- (١) الذين يتبعون منهج الله في كل حركاتهم وسكناتهم .
 - (٢) المؤمنون والناموس واليهود الذين آمنوا بالله واليوم الآخر وعملوا الصالحات .
 - (٣) الذين أسلموا كل مقاليدهم لله وأحسنوا .
 - (٤) الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله ثم لا يتبعون ما أنفقوا منا ولا أذى .
 - (٥) الذين يؤمنون بالله واليوم الآخر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويقيمون حدود الله .
 - (٦) الذين يتقون الله حق تقاته .
 - (٧) الذين آمنوا بالله واستقامت أعمالهم على منهج الله وسنه نبيه .
- هؤلاء جميعاً لهم الأمن في الدنيا والآخرة ولا خوف عليهم، ولا هم يحزنون فحينما يكون الأمن وعدم الخوف لا يكون للحن مكان ومن هنا نجد أن معظم الآيات الكريمة تأتي بعدم الخوف سابقاً، ثم تأتي بعدم الحزن لاحقاً فكلهما مرتبط بالآخر بعلاقة وثيقة . والله تعالى أعلم .
- شالشا: بعض المظاهر الجسمية المصاحبة للخوف :

=====

يستدل علماء النفس المحدثين على الخوف من خلال المظاهر الجسمية المصاحبة لانفعال الخوف، مثل العرق وارتفاع الأطراف وعدم استقرار النظر، وسرعة ضربات القلب والتنفس، وغير ذلك من المظاهر الجسمية .

إلا أنه يجدر بالذكر أن القرآن الكريم قد سبق هؤلاء العلماء بأكثر من ألف وجزء من الألف من السنين في تناول هذه المظاهر التعبيرية المصاحبة للحالات الانفعالية، سواء كان هذا الانفعال خوفاً أو غصبا أو فرحاً أو غيره .

وفيما يلي نورد بعض آيات الذكر الحكيم التي تناولت بعض المظاهر الجسمية المصاحبة لانفعال الخوف ومنها قوله تعالى :

" أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُمْ بِالنَّصَةِ جَدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ أُولَٰئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَخْبَطَ اللَّهُ أَفْعَلُ بِهِمْ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا " (الأحزاب : ١٩) .

فهنا لم يكتفِ التعبير القرآني البليغ بعلاقة واحدة، من تحديق النظر في حد ذاته علامة من علامات الخوف، ثم دوران الأعين داخل مقلتها فهو علامة بليغة من علامات الخوف، ثم يأتي التشبيه القرآني ليجسد أكبر علامات الخوف كالذي يغشى عليه من الموت .

" وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ " (الزمر : ٦٠) .

" وَأَنْذَرَهُمْ يَوْمَ الْأَرْقَةِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَظُومِينَ مِمَّا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعَ يُطَاع " يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ " (غافر : ١٨، ١٩) .

وهنا يصور لفظ الآفة يوم القيامة كأنها مقتربة زاحفة ، الأنفاس من ثم مكروبة لاهثة ، كأن القلوب المكروبة تغفط على الحناجر وهم كاهمون لأنفاسهم ولآلامهم ولعناؤهم ، والكظم يكرهم ، ويشغل مدورهم ، وهم لا يجسدون حميما يعطف عليهم ولا شفيعا ذا كلمة تطاع في هذا الموقف المكروب ... والعين الخائنة التي تجتهد في إخفاء الخوف لا تخفى على العليم المتعال ، وكذلك ما هو مخزون في الصدور هو مكشوف أمام علم الله ... فهل يستطيع الإنسان مهما أوتي من علم أن يصل إلى مثل هذا التعبير الإنفعالي الذي لا يرتقى إليه علم البشر .

" مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرَ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءُهُمْ " (محمد : ١٥) .

" يَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا لَوْلَا نَزَّلَتْ سُورَةٌ فَإِذَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ مُحْكَمَةٌ وَذَكَرَ فِيهَا آيَاتُ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ يُنْظَرُونَ إِلَيْكَ تَنْظُرُ الْمُغْشَى عَلَيْهِ مِنْ الْمَوْتِ فَأُولَئِكَ لَهُمْ " (محمد : ٢٠) .

" أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ أَنْ لَّنْ يُخْرِجَ اللَّهُ أُمَّمَهُمْ ؟ وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُمْ بِسِعْمِهِمْ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ " (محمد : ٢٩ ، ٣٠) .

" لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا فَكُشِفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ " (ق : ٢٢) .

" فَأَقْبَلْتُ أَمْرَاتِهِ فِي صَرْفٍ فَهَكَتُ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ " (الذاريات : ٢٩) .
وإن كانت العلامة الإنفعالية هنا تأتي من الدهشة والاستغراب إلا أن هذا السلوك قد يكون علامة مميزة للخوف في بعض الأحيان الأخرى .
" مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَفَأَ " (النجم : ١٧) .

وهنا يركى الله جلت قدرته بصر المصطفى صلى الله عليه وسلم ، فلم يكن رغللة من هول الموقف في عينيه ، ولا تجاوز رؤية ، إنما هي المشاهدة الواضحة المحققة التي لا تتحمل شكا ولا طنا ، وقد عاين فيها من آيات ربه الكبرى ، واتصل قلبه بالحقيقة عارية مباشرة مكشوفة . (سيد قطب : ١٩٨٩ ، ٢٤٠٧) .
" فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سَيِّئَتْ وُجُوهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَقِيلَ هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تَدْعُونَ " (الملك : ٢٧) .

" يَوْمَ يَكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيَدْعُوكَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ " خَشَعَةً أَبْصَرُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَالِحُونَ " (القلم : ٤٢ ، ٤٣) .
" يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ يَرَاءُ مَا كَانَتْهُمْ إِلَى نَعَبٍ يُوقِضُونَ " خَشَعَةً أَبْصَرُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ذَلِكَ الْيَوْمَ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ " (المعارج : ٤٣ ، ٤٤) .
" قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا " فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا " وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصْصَبَهُمْ فِيءًا إِذَا نَبِهُمُ وَاسْتَفْسَخُوا لِسَانَهُمْ وَأَصْرُوا وَأَسْتَكْبَرُوا أَسْتَكْبَرُوا " (نوح : ٥ - ٧) .

" فَكَثِيفٌ تَتَّقُونَ إِنْ كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا " (المزمل : ١٧) .

إن صورة الخوف هنا لا تستوجب الخوف فحسب ، بل لو أن هناك إنفعال أكبر من ذلك لجئ به ، فالهول هنا تشق له السماء ، ومن قبل رجفت له الأرض والجبال وإنه تشيب له الولدان وإنه لهول يرسم صورته في الطبيعة الصامتة ، وفي الإنسانية الحية ، في مشاهد ينقلها السياق القرآني إلى حس المخاطبين كأنها واقعة ثم يؤكد تأكيدها " كَانَ وَعْدُهُ مَفْعُولًا " واقعا لا خلف فيه . (سيد قطب ، ١٩٨١ ، ٣٧٤٨) .

" ثُمَّ نَظَرُ • ثُمَّ غَبَسَ وَبَسَرَ • ثُمَّ أَذْبَرَ وَأَسْتَكْبَرَ " (المدثر : ٢١-٢٣) •
 " وَوُجُوهُ يَوْمَئِذٍ بِآيَةٍ • تَنْظُرُونَ أَنْ يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ • كَسَلًا إِذَا بَلَغَتِ
 النَّتَاقِينَ • وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ • وَطَنَّ أَذْنَهُ الْفِرَاقُ • وَالتَّتَفَّتْ السَّاقُ بِالسَّاقِ • إِلَى رَيْكَةٍ
 يَوْمَئِذٍ الْفَسَاقُ " (القيامة : ٢٤ - ٣٠) •

والوجوه الباسرة هي الوجوه الكالحة المنقبضة التعبة / المحجوبة عن
 النظر والتطلع بخطاياها وارتكاسها وكشافتها وانطماسها وهي التي يشغلها
 الخوف ويحزنها الظن ويخلع عليها البسر والكلوحة توقعها أن تحل بها
 الكارثة القاصمة للظهر ، والمحطة للفقار ، الفاقرة • وهي من المتوقر
 والتوجس في كرب وكلوحة وتقضى وتنقيص • (سيد قطب : ١٩٨١ و ٣٧٧٢) •
 " إِنَّمَا أَنْذَرْنَكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنْظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ
 الْكَافِرُ يَلَيْتَنِي كُنْتُ تَرًّا بَرًّا " (النبا : ٤٠) •
 " يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّجُلَةُ • تَتَّبَعَهَا الرَّادِفَةُ • قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ • أَبْصَرُهَا
 خَشِيعَةٌ " (النارعات : ٦ - ٩) •
 " فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاعَةُ • يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ • وَأُمُّهُ وَأَبِيهِ • وَمَجِيبِهِ
 وَبَنِيهِ • لِكُلِّ أَفْرَةٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ " (عبس : ٢٣ - ٢٧) •
 " وَوُجُوهُ يَوْمَئِذٍ خَشِيعَةٌ • غَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ • تَتَلَوَّنَ نَارًا حَامِيَةً • تُسْقَى مِنْ عَيْنٍ
 عَائِنَةٍ • لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ صَرِيحٍ • لَا يُسَمِّنُ وَلَا يُغْنِي مِنْ جُوعٍ " (الغاشية : ٢-٧) •

وهنا تتجلى القدرة الإلهية في تصوير التعبيرات الجسمية الظاهرة
 والباطنة التي تصاحب إنفعال الخوف بشكل خاص والإنفعالات بشكل عام وهي :

- الخشوع مع الذلة •
 - ظهور الإعياء والتعب •
 - الفرار من أعز الأعزاء •
 - الام البطن الشديدة التي تتقطع معها الأمعاء •
 - كلاله الوجه •
 - تخطيط الرجلين والساقين في بعضهما بل والتفافهما •
 - عبوس الوجه وظهور علامات الفيق والخوف •
 - تحاشي السمع بوضع الأصابع في الأذان •
 - الندم وتمني العدم •
 - اضطراب ضربات القلب وتحركه للحناجر •
 - عدم استقرار البصر •
 - تجمد البصر •
 - اضطراب التنفس واحتباسه •
 - ظهور اللحن في القول وأخطاء اللسان •
 - السهلع الشديد كالمغشى عليه من الموت •
 - ظهور الشيب المبكر •
- هذا والله سبحانه وتعالى أعلم

جدول (١) يوضح عدد الآيات التي تناولت الخوف في البحث

مسل	البيان العددي	عدد الآيات	النسبة المئوية لمجموع آيات الخوف	ملاحظات
١	الخوف من الله	٢٨	١٦,٣١	
٢	الخوف من عذاب الله	١٦	٦,٨٧	
٣	الخوف من يوم القيامة	٢٤	١٤,٥٩	
٤	الخوف من الموت	٢٤	١٠,٣٠	
٥	الخوف من الفقر	٠٧	٣,٠٠	
٦	الخوف من الناس	٢١	٩,٠١	
٧	الخوف من الطواهر الجوية والطبيعية	٠٥	٢,١٥	
٨	الخوف من الرذائل	٠٦	٢,٥٨	
٩	الخوف من الخوارق والمعجزات وأعمال السحر	١٢	٥,١٥	
١٠	الخوف من القوة الحربية	٠٨	٣,٤٣	
١١	نفي الخوف عن المتقين	١٧	٧,٣٠	
١٢	مظاهر الخوف الجسمية	٤٥	١٩,٣١	
	إجمالي الآيات التي تناولها البحث	٢٣٣	١٠٠	

■ تمثل النسبة المئوية لنوع الخوف منسوبا لاجمالي آيات الخوف التي تناولها البحث .

- يتضح من الجدول ما يلي :-
يجب أن ننوه في البداية أن هذا التناول الإحصائي ليس له أهمية كبيرة في مثل هذا البحث، إذ أن آيات الذكر الحكيم أكبر من أن تخضع للدلالات الإحصائية حيث أن القياس في الطواهر الطبيعية والإنسانية شيء والقياس على مستوى الدلالات القرآنية شيء آخر تماما .
- أن الخوف من الجليل جاء في أعلى مراتب الخوف حسب عدد الآيات التي تناولت هذا المحور .
- يأتي بعد هذا المحور الخوف من يوم القيامة ثم الخوف من الموت . وهذه الدلالات تؤكد أهمية هذه الأنواع في تقويم سلوك المؤمن بالإضافة إلى كونها أكثر المخاوف شيوعا من الناحية النفسية .
- أن أقل الآيات التي تناولت الخوف من الطواهر الجوية والطبيعية، إذ أن القرآن منهاج حياة وتهذيب سلوك ولذلك عني في المقام الأول بتنقية عقيدة المؤمن وتنظيم حياته في إطار الترغيب في رحمة الله والترهيب من الله وعذابه ويوم حسابه .

الخلاصة

في ضوء ما تقدم يمكن الاجابة على تساؤلات البحث ص ١ كما يلي :-

- (١) لقد عالج القرآن الكريم موضوع الخوف علاجاً ما بعده علاج إذ يصعب على أي باحث أن يلم بكل أنواعه في بحث واحد .
- (٢) لقد تناول القرآن الكريم معظم أنواع الخوف المعروفة لدى علماء النفس المحدثين، بل وهناك أنواع أخرى من الخوف توجد في القرآن الكريم لم يتناولها هؤلاء العلماء مثل الخوف من عذاب الله والخوف من يوم القيامة والخوف من الرذائل والخوف من القوة الحربية .
- (٣) نعم يفوق التراث النظري للخوف في ظلال القرآن الكريم ما يفسره لنا التراث النفسي المعاصر، إذ أن لكل آية مذكورة في هذا البحث إذا تعمقنا في تفسيرها ومدلولاتها قد تحتاج بحثاً بعينه وما هذا البحث إلا خطوة على طريق طويل .
- (٤) نعم لقد ميز القرآن الكريم بين أصناف من الناس يرتفع الخوف لديهم وأصناف أخرى من البشر من عباد الله الصالحين . ففي الخالق جل وعلا عنهم كثيراً من أنواع الخوف في الدنيا والآخرة . كما يتضح ذلك من شانيا ص ١٦ .
- (٥) نعم تناول القرآن الكريم مظاهر الخوف الجسمية والنفسية ما ظهر منها وما بطن بأسلوب عميق واتساق واتساع، يصعب على العقل البشري أن يدرك كنهية هذه التغيرات "وفوق كل ذي علم عليم" .
" رَبَّنَا لَا تُؤْخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِمْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْزُزْنَا عَنَّا وَافْعِرْ لَنَا وَأَرْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَاسْمُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ " .
واخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين ...

المراجع

- (١) القرآن الكريم .
- (٢) سمير محمد حسين (١٩٨٣) : تحليل المضمون . القاهرة : عالم الكتب .
- (٣) سيد قطب ، (١٩٨٩) : في ظلال القرآن ، ط ٩ ، القاهرة :، بيروت : دار الشروق ، المجلدات من ١ إلى ٦ .
- (٤) عبد الباسط متولى خضر . (١٩٩٠) دراسة أثر تعلم العلوم الدينية (قرآن - فقه - توحيد) على مستوى النمو اللغوى للطفل . المؤتمر الدولي للطفولة في الاسلام . القاهرة ٩ - ١١ اكتوبر .
- (٥) _____ . قلق الموت لدى عينة من مرضى القلب والفشل الكلوى والأوعية ، دراسة مدوعة للنشر لدى مجلة Zagazig University Medical Journal. بتاريخ ١٩٩١/٢/٣
- (٦) _____ . نبيل زايد . الشواب والعقاب من منظور القرآن الكريم والحديث النبوى الشريف وعلم النفس المعاصر . دراسة نظرية مقبولة للنشر في مجلة كلية التربية - جامعة الزقازيق بتاريخ ١٩٩١/٣/٢ م .
- (٧) محمد عثمان نجاتي (١٩٨٧) : القرآن الكريم وعلم النفس ، ط ٤ ، القاهرة :، بيروت : دار الشروق .